اليـــوجا الهنـدية
والتصوف الاسلامى

اصدرت الإدارة العامة للثقافة ، بوزارة الثقافة والإرشاد القومى ، كتاباً عن — فلسفة اليوجا — ترجمة الأستاذ عريان يوسف سعد ، وراجعه الأستاذ الدكتور محمد مصطفى حلمى .

والكتاب يلقى بالأضواء ، على الطريق الروحى العالمى المعطر بانفاس المتبتلين والمحبين .

ويقدم أروع المثل الأخلاقية الإنسانية ، ويأخذ بالروح وبالقلب وبالوجدان إلى جولات فى عالم النور والصفاء والبهاء ، عالم الإيمان ، عالم الكلمات الحية المشرقة الملهمة .

واليوجا الهندية قد تلتقى بالتصوف الإسلامى حيناً ، فى مثلها الاخلاقية ، وقد تلتقى به أحياناً فى رياضاته وسلوكه ، ولكنها ترتكز على فلسفة ، تدور حول تناسخ الأرواح ، وتعتمد على منهج يهتف بخلود بعض الأرواح المقدسة المتصرفة فى الحياة والكون .

وهذا وذاك لا يقره التصوف الإسلامى ، ولا يرضى عنه ، ولا ينبغى له .

إن المذاهب الروحية العالمية ، قد تتشابه فى الأخلاق والمثل والسلوك ، ولكن التصوف الإسلامى هو نسيج وحده بين المذاهب الروحية والعالمية . لأنه يستمد وجوده من كتاب ورسالة وقدوة نبوية .

ومن هنا كانت له خصائصه ومقوماته وحدوده وعقيدته ، وشخصيته الكاملة .

ومع هذا فنحن نرحب بكل كتاب يهتف بالأخلاق وينادى بالمثالية ، ويدعو إلى الإيمان ، ويبشر بالخير والحب والسلام للناس كافة .

إن الطريق المضاء ، هو طريق كل محب للروحانية والمثالية ، وعلى هذا الأساس نرحب بكتاب — فلسفة اليوجا — ونقدم منه نموذجا صالحاً رائعاً ، صور فيه الكاتب ما فى الزهد الصوفى من قوة ومن حيوية ومن إيجابية بناءة ، توحى بالثقة ، وتلهم القدرة على الكفاح والجهاد فى الحياة . . قال :

« . . يبدو للكثيرين أن الصوفى الزاهد ، صاحب خيالات لا يصلح لأعمال الحياة ، مجرد حالم ينسج أوهاما من خيوط الخيال . ولكن الذين نفذ بصرهم من السطحيات إلى لب الحقائق يتبين لهم أن الصوفى العامل رجل يركن إليه فى كل فرع من فروع الحياة ، إن مجرد زهده وعدم تعلقه يعطيه قوة يفتقر إليها الرجل العادى .

الصوفى لا يخاف فهو جسور متقدام لعلمه أن نجاحه وسعادته لا تتوقف على ملابسات بذاتها ، وهو واثق دائماً بأنه سيخرج من أية ظروف أو محنة أو شدة آمنا سالما ، إنه يشعر بأنه يرتكز على صخرة ثابتة ، وأن قوة سر الكون تظاهره وتشد أزره ، وهذا الشعور يكسبه قوة وشجاعة يفتقر إليهما الرجل الذى يحسب أن سعادته تتوقف على نجاحه فى عمل أو شىء ، إن نجح فيه كسب كل شىء ، وإن فشل كانت فى الفشل نهايته .

إن الصوفى يلقى نفسه فى تيار الحياة مندفعاً به ومعه ، نشوان باحساسه إنه جزء من الحياة لا يخشى على نفسه من زحمتها وتطاحنها ، لأنها منه ، وهو منها ، فلا يخشى أذاها ، إنه ينتقل فيها من جو إلى جو ، ومن وسط إلى وسط راضياً مطمئناً لأنه يعلم أن القوة التى تسير هذا الكون كله تسانده وتشد أزره ، فيعمل بكل قواه لأنه لا يدخر وسعاً ولا يحتفظ بشىء من طاقته لاتقاء شر ، أو دفع

مكروه ، ولذلك يكون إنتاجه أعظم من إنتاج غيره ، ممن يعملون وهم يتلفتون يمنة ويسرة يوجسون خيفة مما حولهم فلا يبذلون فى العمل إلا بعض طاقتهم أما سائرها فموزع مشتت يوزعه الشك ، ويشتته الخوف أو البغضاء والحقد » .

إن إنتاجه ، أعظم الانتاج أما نتيجة العمل — أما الأجر والمكافأة فأمر لا يعنيه كثيراً إنه يستطيع أن ينصرف إلى أى عمل آخر باذلا فيه ، كعهده ، كل جهد ، إنه يعمل فقط أما نوع العمل فلا يربطه به رابط من منفعة أو كسب .

والعامل من هذا الطراز لابد وأن يدر عليه عمله ما يكفيه حقاً مكتسبا له . إن من اتقنوا — فن السلوك — بالرغم من أعراضهم عن زخرف الدنيا ومظاهرها يعيشون فى سعة من الرزق تسد حاجتهم ، وتكفل راحتهم ، وطبيعى أن القليل يسد الحاجة ويكفل الراحة لهؤلاء الناس . . . لأن ذوقهم بسيط يرضون بالقليل الجيد ، إنهم يجذبون إليهم رزقهم فيأتيهم طوعا كما تجذب الشجرة مادة حياتها من الأرض والماء والهواء .

من رقائق الأدب الصوفى :

إذا ارتحل الكرام إليك يوما ... ليلتمسوك حالا بعد حال
فإن رحالنا حطت رضاء ... بحكمك عن حلول وارتحال
امحنا فى فنائك يا إلهى ... إليك مفوضين بلا اعتلال
فسسنا كيف شئت ولا تكلنا ... إلى تدبيرنا يا ذا المعالى

مع . . . .
ابراهيم بن أدهم

قال ابراهيم بن أدهم : كنت سائراً نحو بيت المقدس ، فلقيت سبعة رجال ، فسلمت عليهم ، وقلت افيدونا شيئاً ينفعنا الله تعالى به .

فقالوا : أنظر كل قاطع يقطعك عن الله فاقطعه عنك .

قلت : زيدونى يرحمكم الله ، فقالوا : لاترج غير الله تعالى ، ولاتخف أحداً سوى الله .

قلت زيدونى يرحمكم الله ، فقالوا : أنظر كل مايحبه الله تعالى فأحبه ، وكل ما يبغضه الله فابغضه .

قلت : زيدونى يرحمكم الله فقالوا : بالدعاء والتضرع والبكاء فى الخلوات والتواضع والخشوع والرحمة للمؤمنين والنصح لهم .

فقلت : زيدونى يرحمكم الله .

فقالوا : اللهم حل بيننا وبينه فقد شغلنا عنك ! ! !

قال ابراهيم بن أدهم : فنظرت فلم أرهم .

* * *

وروى عبد الجبار بن كليب ، قال : كنا مع ابراهيم بن أدهم فى سفر ، فعرض لنا الأسد ، فقال ابراهيم : قولوا :

اللهم احرسنا بعينك التى لا تنام ، واحفظنا بركنك الذى لا يرام ، وارحمنا بقدرتك علينا لا نهلك ، وأنت رجاؤنا يا الله ، يا الله ، يا الله .

قال : فولى الأسد عنا هارباً ! !

ثم قال : وأنا أدعو بهذا الدعاء عند كل أمر مخوف ، فما أرى إلا خيراً . . .